مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (٩)، العدد (٤)، ص ص ١٤٦٩-١٥١٥، (شوال ١٤٣٧هـ/يوليو ٢٠١٦م)

ملامح الشخصية في القصة القرآنية (بين الكفر والإيمان) نماذج تطبيقية

د. عبدالله علي عبدالرحمن أبو السعود
أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن الكريم
جامعة الجوف، كلية العلوم الإدارية والإنسانية
قسم الدراسات الإسلامية

ملخص البحث. تثبت هذه الدراسة أن القرآن الكريم في قصصه وإن كان يحوى الأركان المعروفة للقصة العربية؛ من شخوص وزمان ومكان وعقد وحل لها، إلا أنه أضاف لهذه الشخوص جوانب وملامح وصفات، ليكون المغزى من القصة أكثر عمقاً وعبرة، كما تبين الدراسة أن ملامح هذه الشخصية تختلف باختلاف الحال لصاحبها من كفر وإيمان ومعصية وطاعة، وعليه يكون تفسير السلوك والأحداث، وما هذا كله إلا للترغيب بالشخصية المؤمنة والتأسي بها والتنفير من الشخصية الكافرة والبعد عنها، وعليها تقاس المعاصي والطاعات، فمعلوم أن كل عاقل يسعى للكمال النسبي في شخصه وذاته.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد...

لقد تميزت القصة القرآنية بأنها تعطي صورة واضحة المعالم بيانياً للشخوص الذين تحاكي قصتهم، وذلك ليكون المرتكز والهدف المراد السير عليه من القصة واضح المعالم والحجة ساطعة البرهان، سواءً في الشخصية المؤمنة أم بالكافرة أم بالمنتقلة من المعصية إلى الطاعة، فكان هذا البحث محاولة لإبراز شيئاً من ملامح ذلكم الشخوص كما عرضها القرآن الكريم.

وقد اختار الباحث نموذج الشخصية المؤمنة أيوب عليه السلام، فمع أن الآيات التي تتحدث عنه قصيرة وموجزه إلا أنها تعطي أصول معالم الشخصية المؤمنة، فأراد الباحث أن يعطي أحكاماً عامة تناسب القدر الأكبر وممن تصلح لهم هذه الصفات، ولو اختار شخصية موسى أو آدم أو محمد عليهم الصلاة والسلام جميعاً لطول النصوص القرآنية المتحدثة عنهم؛ لكانت دراسة لأفراد وهي واجبة البحث في محل آخر؛ فأحب الباحث أن يأتي بأقصر النصوص التي تعطي الأصول الرئيسة لمعالم أي شخصية مؤمنة، وهذا يتناسب مع الطبيعة من حيث الحجم وطبيعة المقارنة مع أصول الشخصية الكافرة.

أما نموذج الشخصية الكافرة، فاختار الباحث إبليس عليه اللعنة؛ لأنه مصدر الكفر بلا منازع وعليه يقاس كل متبع له، فكان الواجب التحذير منه ومن صفاته، ولو نظرنا إلى القصص التي تحدثت عن شخصيات الكفرة لنجد ما حتوته إنما هو مستوحى من شخصية إبليس وسلوكه وأفعاله، كما سيظهر بعد التأصيل القادم.

أما نموذج الشخصية المنتقلة من المعصية إلى الطاعة فاخترت شخصية أصحاب الجنة ؛ لأنها كاملة الأركان لحالهم حال المعصية وكذلك حال الطاعة ، فالآيات التي تحدثت عن أصحاب الجنة حال معصيتهم أعطت وصفاً واضح المعالم لحالهم ، ومن ثم جاءت آيات الإنابة والاعتراف لتكمل الصورة لتوبتهم ، فكان تميز هذه القصة من حيث الجمع بين الحالين.

ويغلب على البحث المنهج الصفي الانطباعي ، حيث يقوم الباحث بتتبع الآيات القرآنية ، وتفسيرها من كتب التفسير التي تخدم بحثه وتحليل عبارات الآيات المتعلقة بالموضوع وبيان دلالاتها ثم الخروج بقواعد تضم وتشمل الفروع الجزئية من البحث .

أما الدراسات السابقة التي أفاد منها الباحث ، فهناك دراسة الدكتور عبدالوهاب الشيخ حمد في الجامعة العراقية كلية التربية ، بعنوان بناء الشخصية في القصة القرآنية – دراسة نفسية – ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م ، فكان التغاير بين دراستي ودراسته أنه يبحث في البعد النفسي للقصة القرآنية وأنا أبحث في الأصول والملامح للشخصية وما يترتب عنها من سلوك ، كذلك كانت النماذج مختلفة بيني وبينه فقد اختار موسى عليه السلام و قارون وقد استفدت منها في تعريف الشخصية عند أهل الاختصاص.

كذلك من الدراسات السابقة ، كتاب الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني ، تأليف الدكتور عبد المرضي زكريا ، وكان قد ركز في دراسته على استيعاب المراجع التي تخدم موضوعه وهو الحوار في القصص القرآني ، وتعرض كذلك للألفاظ المقاربة للحوار كالجدل والمحاجة ، وأشار إلى من تعرض للقصص القرآني التي تبرز هذا الجانب الذي هو الحوار من كتبهم ومراجعهم ، ومنها أيضاً رسالة الماجستير العنونة بـ "الشخصية في القصص القرآني دراسة نصية نقدية تحليلية لنصوص مختارة" ، للباحث

خالد سليمان الدولات، جامعة اليرموك الأردنية، ١٩٩٦م، حيث تطرق الباحث لأنبياء الله إبراهيم و يوسف وموسى عليهم السلام، وامرأة العزيز وملكة سبأ ومريم عليها السلام، فكان الاختلاف بين دراستي ودراسته بالنماذج والنهج؛ حيث ركز في الشخوص التي أوردها على محطات من حياتهم كمواقف فاعلة ومحور دراستي آخر ألا وهو الايمان وأثره في بناء الشخصية وكذلك الكفر ثم المعاصي والتوبة.

وقد احتوت هذه الدراسة على خمسة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: تعريف الشخصية لغةً واصطلاحاً وفي الاصطلاح القرآني.

المبحث الثاني: القصص لغةً واصطلاحاً وفي الاصطلاح القرآني.

المبحث الثالث: ملامح الشخصية المؤمنة (أيوب عليه السلام) نموذجاً.

المبحث الرابع: ملامح الشخصية الكافرة (إبليس عليه اللعنة) أنموذجاً.

المبحث الخامس: ملامح الشخصية منتقلة من المعصية إلى الطاعة (أصحاب الجنة) أنموذجاً.

وسبب تصنيف المطالب إلى دراسة بيانية ثم تأصيلية لكل شخصية؛ لأن الشاهد يصلح لأكثر من صفة، فلو كان الجمع مباشرة لحدث التكرار لنفس الشاهد عند كل ملمح، وبهذا التقسيم نتخلص من هذا التكرار وتضبط الأمور.

المبحث الأول: تعريف الشخصية في اللغة والاصطلاح، والاصطلاح القرآني.

قبل الولوج إلى الدراسة لابد من الوقوف على التعريفات؛ لأنها المفتاح للدراسة، وقد تضمنت هذه الدراسة تعريفات عدة على النحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم الشخصيّة لغةً

الشين والخاء والصاد أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ارتفاع في شيء؛ فمن ذلك الشّخص، وهو سوادُ الإنسان إذا سما لكَ مِن بُعد، ثم يحمل على ذلك فيقال شَخَصَ

من بلدٍ إلى بلد، ومنه أيضاً شُخُوص البَصَر. ويقال رجلٌ شَخِيصٌ وامرأةٌ شَخِيصة، أي جَسيمة. ومن الباب: أَشْخَصَ الرّامي، إذا جاز سَهْمُه الغرضَ من أعلاه، وهو سهمٌ شَاخِص. ويقال، إذا ورد عليه أمر أقلقه: شُخِص به، وذلك أنّه إِذا قَلِقَ نَبَا به مكانُهُ فارتفع [١].

فلفظة "الشخصيّة" تعني سواد الإنسان وكل ما تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه. والشخص هو كل جسم له ارتفاع وظهور، وجمعه أشخاص وشخوص وشِخاص. وشَخَصَ تعني ارتفع، والشخوص ضد الهبوط، كما يعني السير من بلد إلى بلد. وشَخَصَ ببصره إذا رفعه فلم يطرف عند الموت [٢].

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [٣].

وقال تعالى ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [٤].

والرجل الشخيص أي السيد عظيم الخلق، وتشخيص الشيء تعيينه، و(شَخَصَ) تعني نظر إلى [٥].

---

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة - (٣ / ٢٥٤) ، ت: عبد السلام محمد هارون، ط دار(الفكر،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) ، مادة: شخص

(٢) بتصرف أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور. لسان العرب، (بيروت: دار صادر، د ت) ، مادة: شخص.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤٢.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٩٧.

(٥) الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، (القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ) ، مادة: شخص.

فكل هذه المعاني تُشير إلى ذات الإنسان من منظور غيره، وإن كان الأمر متعلق بذاته أو إلى فعل مرتبط بالإنسان نفسه أو غير مرتبط به.

فكلمة "شَخَصَ" بمختلف معانيها مرتبطة بالحسّ في إشارتها للذات كالسيد العظيم أو سواد الإنسان. وبإشارتها للفعل الذي يمكن أن يصدر من ذات لها وجود حسيّ، كما في شخوص البصر الذي يعني ارتفاع النظر إلى أعلى، أو تشخيص الشيء بمعنى تعيينه فمجموع هذه المعاني مراد في بحثنا حيث إنها تعنى بالسلوك منبثق عن الذات ومدى ارتباطه بها.

المطلب الثاني: مفهوم الشخصيّة اصطلاحاً

بعد البحث في كتب المعاني الاصطلاحية العامة كالتعريفات والكليات، لم يجد الباحث معنىً خاصاً لتعريف الشخصية، وهذا من ارتباط اللفظ بالمعنى الحادث عند أرباب الفن، ففي كتبهم وجد الباحث البغيته؛ فعند البحث عن الشخصية في المؤلفات القديمة نجد أنّ كلمة شخص تستعمل في كثير من النصوص الأدبيّة والتاريخيّة، لتدلّ على المعنى اللغوي الذي سبقت الإشارة إليه.

فيركز السلوكيون مثلاً على المظاهر الخارجية للشخص على اعتبار أن الشخصية هي مجموعة العادات السلوكية للفرد التي يمارسها في أوجه النشاط المختلفة، وعلماء التحليل النفسي يرون أن الشخصية قوة داخليّة تُوجّه الفرد في كل تصرفاته ويمكن القول بأنه تبعًا للتعريفات السابقة قامت نظريات تدرس الشخصية وتحللها من جانب اللاوعي أو جانب الاتجاهات[٦]، أمّا علماء النفس فمفهوم الشخصيّة عندهم:

---

(٦) انظر: الساعاتي، سامية، الثقافة والشخصية، بحث في علم الاجتماع الثقافي، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٣) ، ص١٢٢.

هو توافق الفرد مع ذاته ومع غيره، ويمكن حصر أهم تعريفات الشخصيّة في علم النفس في أربع مجموعات:

تنظر المجموعة الأولى إلى الشخصيّة بوصفها مثيرًا خارجيًا في الآخرين، وتنظر المجموعة الثانية إلى الشخصية من جانب الاستجابة للمؤثرات المختلفة. وهناك مجموعة ثالثة تُعرّف الشخصيّة باعتبارها متغيّرًا يرتبط بعوامل تتجاوز المثير والاستجابة، وتركز المجموعة الرابعة على تفاعل الشخصيّة مع العوامل المختلفة، بوصف الشخصية وحدة نتائج متداخلة منها الثابت ومنها المتغيّر، ولكل مجموعة مما سبق عناصر يُركز عليها مفهوم الشخصية، وتلك العناصر هي محور الدراسات النفسية في تنوعها واختلافها، فيما يتعلق بنظريات الشخصية وطبيعتها وأساليبها(٧).

وتلخص مذاهب أرباب الاختصاص بالمعنى الآتية:

فعند (أهل الاصطلاح اللغوي): الشَّخْص هو كل جسم لَهُ ارْتِفَاع وَظُهُور وَغلب فِي الْإِنْسَان، و(عِنْد الفلاسفة) الذَّات الواعية لكيانها المستقلة فِي إرادتها وَمِنْه (الشَّخْص الأخلاقي) وَهُوَ من توافرت فِيهِ صِفَات تؤهله للمشاركة الْعَقْلِيَّة والأخلاقية فِي مُجْتَمع إنساني(٨)،

(٧) لعل من أهم القيود الموضحة تعريف الشخصية: الشخصية والمثير، والشخصية والاستجابة، والشخصية والمتغير سواء في المثير أم في الاستجابة، والشخصية والتنظيم المتكامل للعوامل. انظر كلا من: لازاروس، الشخصية، ترجمة: سيد محمد غنيم، (القاهرة: دار الشروق، ط٣، ١٩٨٩) ، ص١٩٩، وفيصل عباس. أساليب دراسة الشخصية، (بيروت: دار الفكر اللبناني ١٩٩٠) ، ص٥٣.

(٨) مجمع اللغة العربية، (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار) ، المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة ١٩٨٩م(٤٧٥/١) ، ومن أراد الاستزادة ينظر: توفيق، محمد عز الدين، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي، دار السلام – مصر، ص ١٥١ إلى ١٥٨، أما علماء الاجتماع؛ فالشخصيّة عندهم تعني عنصر البناء الاجتماعي في كافة مستويات المجتمع، للمزيد ينظر الحاج حسن، حسين، علم الاجتماع الأدبي، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات=

أما من عني بدراسة الشخصية من المنظور الإسلامي ؛ فلابد للشخصية عندهم من ثلاث عمليات :

١ - إضافة مصدر جديد للمعرفة يتمثل في القران والسنة أو الوحي.

٢ - إضافة أبعاد للشخصية جديدة بحسب ما يوفر لنا المصدر الجديد من معلومات.

٣ - إعادة ترتيب أبعاد الشخصية

وقد كان هناك محاولات تأصيل علم نفس الشخصية وانتهت إلى طريقين(٩).

ولعله مما ينبغي التنبيه عليه : أن من علماء الاجتماع والنفس من ربط الشخصية بالقضايا الوراثية ، فالحكم على الشخصية يكون من خلال التعرف على تصرفاتها وعاداتها والمتتبع للقصص القرآني يستطيع أن يتعرف ويحكم على شخصياته من خلال أحداثها ؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره(١٠)، فهذه الدراسة معنية بكل سلوك قابل للتقويم سواءً كان وراثياً أو مكتسباً من دين أو من بيئة أو من ظروف اجتماعية أو نفسية أو اقتصادية ، بالرغم من كون الدراسة مختصة بالجانب الديني ؛ لأن العبرة بتقويم السلوك وفق ما أراد الله واستخلف.

=والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٠) ، ص١١٩، وانظر: الحسين، قصي، السوسيولوجيا والأدب، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٣) ، ص٥٢، ولعل التعريف الشمولي عند علماء الاجتماع للشخصية من جميع أطرها: يكمن في دراسة الشخص ضمن إطار المجموعة التي ترتبط بسمات مشتركة وبعوامل تتحكم في نشاطها.

(٩) سعيد عزة وجودت عبدالهادي، نظريات الإرشاد والعلاج النفسي، مكتبة دار الثقافة، عمان،ط١، ١٩٩٩م، ص٩٥.

(١٠) باحاذق، د عمر محمد عمر، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م، ص١١١.

المطلب الثالث: مفهوم الشخصيّة في الاصطلاح القرآني

بالربط بين الجوانب اللغوية لمفردة الشخصية والجوانب الاصطلاحية يمكن تعريف الشخصية من منظور قرآني ؛ بأنها تلك الصفات الكينونية الداخلية والسلوكية للفرد التي كشفتها آيات القرآن الكريم ، أو دعت إليها لأفضليتها ولموافقتها للنصوص الشرعية أو حذرت منها لشؤمها.

ويكمن ذلك في مناحي من الآيات مثل آيات الأحكام وآيات الوعظ والإرشاد وآيات القصص القرآني التي هي موضوع البحث.

المبحث الثاني: القصص في اللغة والاصطلاح، والاصطلاح القرآني

المطلب الأول: القصة لغةً

"للقاف والصاد أصلٌ صحيح يدلُّ على تتبُّع الشَّيء. من ذلك قولهم: اقتصَصْتُ الأثَر ، إذا تتبَّعتَه ، ومن ذلك اشتقاقُ القِصاص في الجِراح ، وذلك أنَّه يُفعَل بهِ مثلُ فِعلهِ بالأوّل ، فكأنَّه اقتصَّ أثره. ومن الباب القِصَّة والقَصَص ، كلُّ ذلك يُتَتَبَّع فيذكر"[١١].

ويقال في رأْسه قِصّةٌ يعني الجملة من الكلام ونحوُه قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[١٢] ؛ أَي نُبَيّن لك أَحسن البيان والقاصّ الذي يأْتي بالقِصّة من فَصِّها ويقال قَصَصْت الشيء إِذا تتبّعْت أَثره شيئاً بعد شيء ومنه قوله تعالى وقالت لأُخْته قُصّيه أَي

(١١) ابن فارس، مقاييس اللغة – (٥/٧) ، مادة قصص

(١٢) سورة يوسف: الآية٣.

اتّبِعي أَثَرَه[١٣] ، فقَصَّ أثَرَه قَصّاً وقَصيصاً إذا تَتَبَّعَه والخَبَرَ إذا أعْلَمَهُ ، والقاصُّ : مَنْ يَأتِي بالقِصَّةِ[١٤].

وعليه يطلق الفعل الثلاثي قصّ في اللغة على عدّة معاني :

الأول : تتبع الأثر ، وعليه ورد قوله تعالى ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[١٥] ؛ أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقتصان الأثر ، وقوله تعالى ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾[١٦] ؛ أي تتبعي أثره وخبره.

الثاني : الإعلام والإخبار : يقال قصّ عليه ما حدث أي أخبره به وأعلمه إياه ، وقصّ عليه الرؤيا أخبره عليه خبره أورده على وجهه ، ومنه قوله سبحانه :﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١٧].

الثالث : البيان ، ومنه قوله تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[١٨] ؛ أي نبين لك أحسن البيان ، والقِصَصْ : جمع قصة التي تكتب ، والقَصَص بالفتح : رواية الخبر ، والخبر المقصوص ، والأثر.

(١٣) ابن منظور، لسان العرب – (٧ / ٧٣) ، مادة قصص.

(١٤) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت٨١٧هـ) ، القاموس المحيط، ط٣،دار الرسالة، عمان،١٩٩٣م، ص٨٠٩

(١٥) سورة الكهف: أية٦٤

(١٦) سورة القصص: الآية١١.

(١٧) سورة القصص: الآية٢٥.

(١٨) سورة يوسف: الآية٣.

المطلب الثاني: القصة اصطلاحاً

كان العرب قديماً يطلقون عليه عدة أسماء، مثل الحديث، والخبر، والسمر، والخرافة ثم أخذ مفهوم هذا الفن بالاستقرار على معنى معين عند أربابه ومن ذلك:

فالكتاب والأدباء يعرفون القصة بأنها حكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معاً وتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي[١٩].

فسرد قصصي يروي تفصيلات حدث واقعي أو متخيل، وهو ينطبق عادة على القصص البسيطة ذات الحبكة المتراخية الترابط، مثل حكايات ألف ليلة وليلة.

ويجدر الإشارة هنا أن عناصر القصة التي بنى عليها الأدباء تعاريفهم هي[٢٠].

١ -الفكرة والمغزى:

وهو الهدف الذي يحاول الكاتب عرضه في القصة، أو هو الدرس والعبرة التي يريد منا تعلُّمه.

٢ -الحـدث:

وهو مجموعة الأفعال والوقائع مرتبة ترتيبا سببياً، تدور حول موضوع عام، وتصور الشخصية

وتكشف عن صراعها مع الشخصيات الأخرى .

٣ -العقدة أو الحبكة :

وهي مجموعة من الحوادث مرتبطة زمنياً.

٤ - الشخوص التي تمثل القصة.

---

(١٩) نديم مرعشلي، نديم بن محمد جميل، تجديد الصحاح في اللغة والعلوم دار الحضارة العربية بيروت، (٢/ ٣١٣ – ٣١٤)

(٢٠) دبور، محمد عبد اللاه عبده، أسس بناء القصة من القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنوفية، ١٩٩٦، ص١-٦.

فهي حكاية لأحداث تدور حول شخصية لها وجود أو متخيلة بتحكم الأديب في نظمها والتصرف بأحداثها بالزيادة والنقصان، المبالغة في تصويرها ليستأثر بالعاطفة من السامع والوجدان، وغايته إما تسلية القارئ بإشغال الفراغ الذي يكون فيه، أو الخروج به عن الواقع الذي يعيشه، وما يكتنفه من الصعوبات، والمشاكل النفسية والاجتماعية.

المطلب الثالث: القصة في الاصطلاح القرآني

نص الإمام الرازي رحمه الله على معنى القصص القرآني عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ﴾[٢١] بقوله: هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين، ويرشد إلى الحق، ويأمر بطلب النجاة[٢٢]، وهذا التعريف يدخل جميع هدايات القرآن الكريم ضمن القصص من آيات أحكام أو وعظ وإرشاد أو أخلاق وعلى هذا يكون الإمام الرازي قد استخدم المعاني اللغوية للقصص القرآني التي قد أشار إليها الباحث.

ومما تجدر الإشارة إليه أن حصر القصص القرآني بأخبار الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة ، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي هو "المصطلحات التي خطها بعض أهل الفن في عصور متأخرة"[٢٣]،. أما ما كان عليه السابقون أن القصص مجمل الأخبار التي أورها القرآن.

---

(٢١) سورة آل عمران الآية٦٢.

(٢٢) الرازي : مفاتيح الغيب (٨ / ٧٤)

(٢٣) الدولات، خالد سليمان ، الشخصية في القصص القرآني دراسة نصية نقدية تحليلية لنصوص مختارة، رسالة الماجستير، جامعة اليرموك الأردنية، ١٩٩٦م، ص٢٠.

كما ذهب الخطيب إلى أن القصص في القرآن الكريم: تتبع أحداث ماضية وعرض منها ما يرى القرآن عرضه[٢٤].

ولعله من التعاريف الشاملة المختارة للقصص في القرآن الكريم هو أخبار القرآن الكريم عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة ، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه[٢٥].

ومما يتفرع عن أصل الموضوع أن القصص القرآني قصص واقعي تاريخي كما صرح بذلك القرآن في آياته[٢٦]، ويأتي على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم؛ كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

---

(٢٤) الخطيب، عبدالكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٥، ص٤٥.

(٢٥) القطان، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص٣١٦.

(٢٦) عتر، نور الدين عتر، القرآن الكريم والدراسات الأدبية، جامعة دمشق، ط١،ص ٢٢١

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك[٢٧].

المبحث الثالث: ملامح الشخصية المؤمنة (أيوب عليه السلام) أنموذجاً

المطلب الأول: دراسة الآيات المتحدثة عن نبي الله أيوب عليه السلام بيانياً

تميزت معالم شخصية نبي الله أيوب عليه السلام بالحوار العابر الكاشف عن هذه الشخصية والمنمي للأحداث في كينونتها والتقرير المختزل في آخرها، حيث إن سيرته لم تذكر غير في سورتين من القرآن الكريم سورة الأنبياء وسورة ص وكانت في الأولى عبارة عن إشارة خاطفة فاختار الباحث البدء بالسورة الثانية ليتناولها بالدراسة البيانية، ثم التعريج على سورة الأنبياء:

يقول تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾[٢٨].

أول ملامح شخصية نبي الله أيوب تتضح هنا فهو يتمثل العبودية لله عز وجل((عبد)) و إضافة العبودية لله بأسلوب الضمير((**نا**)) يدل دلالة واضحة على علو منزلته عند الله، وسبب ذلك يتأتى من صبره على ما وقع به من البلاء الذي أخبر عنه الله عز وجل، "إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب" وعبارة أني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه، ولو لم يحكه لقال بأنه مسه؛ لأنه غائب[٢٩]، **وللنظر إلى التعبير الصوتي في شدة النون والدال من جانب وإطالة الألف والياء من جانب**

---

(٢٧) القطان، مباحث في علوم القرآن، ص٣١٧.

(٢٨) سورة ص: الآية ٤١

(٢٩) الزمخشري، الكشاف ١ / ١٠٩٢.

آخر لتدلل على الحسن والعذوبة في تلك المناجاة(٣٠)، وبذلك يتضح العمق في الدلالة اللفظية في المناداة، أما النصب فهو تثقيلُ نُصْب بضمة وسكون، وفيه الدلالة الواضحة على المبالغة في التعبُ والمَشقةُ(٣١).

وجاء في سورة الأنبياء: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾(٣٢).

فالضر(بالضم) أبلغ من كونها (بالفتح) وذاك من حيث القوة والضعف، فاستعملت الضمة مع اللفظ الشديد لقوتها، وجاء الفتحة في غير موضع مع الأقل لخفتها ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾(٣٣)، يقول صاحب التوقيف: (وتشعر الضمة في الضر بأنه من علو وقهر، والفتحة بأنه ما يكون عن مماثلة ونحوه)(٣٤)، **وهنا ملمح ثالث لشخصية أيوب وهي الدعاء و اللجوء إلى الله عز وجل** ﴿بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾، والنصب : **تثقيل نصب** والمعنى واحد **وهو التعب والمشقة** . والعذاب : الألم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من أنواع الوصب . وقيل : الضر في البدن والعذاب في ذهاب الأهل والمال (٣٥). وفي ذلك **إشارة لشدة ما أصيب به من البلاء فليس مجرد نصب عادي وإنما فيه ما فيه من التشديد فيعد ذلك معلماً مكوناً لشخصيته.**

---

(٣٠) عليان، معجم لغة خطاب الدعاء في القرآن الكريم "دراسة في الدلالة والأسلوب ص٧٦ .

(٣١) السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علم الكتاب المكنون، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ٣٨١/٩.

(٣٢) سورة الأنبياء: الآية٨٣.

(٣٣) سورة الجن: الآية ٢١.

(٣٤) المناوي، التوقيف في مهمات التعاريف، ص ٤٧٢، الدوري، دقائق الفروق في التعبير القرآني ص٨١.

(٣٥) الزمخشري، الكشاف ١ / ١٠٩٢، والبيضاوي، أنوار التنزيل ١ /٤٨ بتصرف .

فإن قلت : لم نسبه إلى الشيطان ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه ليقضي من إتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحاً إلا وقد نكبه وأهلكه وقد تكرر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب ؟ قلت : لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سبباً فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه إليه(٣٦)، **وهذا معلم آخر لهذه الشخصية العظيمة فقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه مع أن الله جل في علاه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو)**،وقيل : أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ إلى الله تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل(٣٧).

وتتجلى هنا بشرية أيوب حيث يتعرض لوساوس الشيطان ومسه ولكنه سرعان ما يعود لربه طالباً المغفرة ومنيباً إليه.

ويستمر العرض القرآني مبيناً معلم شخصه الكريم ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾(٣٨)،فاضرب برجلك الأرض **وهذا دليل على عزيمته في الاستجابة لأمر الله .** فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين، قال له صاحبه وما ذاك ؟ قال منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به، فلما راحا إليه لم يصبر

(٣٦) الزمخشري، الكشاف ١ / ١٠٩٢، وعباس، د فضل حسن، القصص القرآني، إيحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، ط١/١٩٩٧م، ص٣٧١.

(٣٧) الزمخشري، الكشاف ١/ ١٠٩٢.

(٣٨) سورة ص: الآية٤٢.

الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب عليه الصلاة والسلام لا أدري ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان، فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ تعالى فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله تعالى إلا في حق، قال وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى أيوب عليه الصلاة والسلام أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، فاستبطأته فالتفتت تنظر فأقبل عليها وقد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان، فلما رأته قالت أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، فوالله القدير على ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك إذ كان صحيحاً، قال فإني أنا هو قال وكان له أندران(٣٩)، أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض(٤٠)، **وفي هذه الرواية دليل على معالم هذه الشخصية العظيمة من حيث الصبر فقد مكث في مرضه ثماني عشرة سنة، والتأدب واللجوء والعفة والرجاء من خلال ألفظ دعائه وثنائه على الله عز وجل.**

ويأتي الجزاء من الله عز وجل للنبي الصابر﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٤١)،فالمعنى : أن الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الألباب؛ لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم، **وفي ذلك تقرير من الله تعالى بأن شخصيته من أصحاب العقول**

---

(٣٩) أي بيدران، ينظر الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة: بدر

(٤٠) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، الأحاديث الطوال، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣م ٢٨٣/١ رقم٤٠، وحكم عليه الألباني بالصحة، ينظر الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض ١ / ١٦، رقم١٧

(٤١) سورة ص: الآية٤٣

النيرة فالخطاب عام ويدخل به أيوب عليه السلام بالأولية، وتقول بعض الروايات إن الله أحيا له أبناءه ووهب له مثلهم وليس في النص ما يحتم أنه أحيا له من مات وقد يكون معناه أنه بعودته إلى الصحة والعافية قد استرد أهله الذين كانوا بالنسبة إليه كالمفقودين وأنه رزقه بغيرهم زيادة في الإنعام والرحمة والرعاية مما يصلح ذكرى لذوي العقول والإدراك والمهم في معرض القصص هنا هو تصوير رحمة الله وفضله على عباده الذين يبتليهم فيصبرون على بلائه وترضى نفوسهم بقضائه(٤٢).

أما قوله تعالى:﴿ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾(٤٣)، فتوحي الآية أنه قسم ليضربن زوجه، فبرحمة من الله به وبزوجه التي قامت على رعايته وصبرت على بلائه وبلائها به خفف عنه حنثه _ وقد روي الشيء الكثير من الإسرائيليات التي لم تصح_ ولكن في النص إشارة إلى الحنث وكأنه أقسم ليضربنها لمخالفة قامت بها أو لفعلها ما يخالف الأولى فأمره الله أن يأخذ مجموعة من العيدان بالعدد الذي حدده فيضربها به ضربة واحدة تجزئ عن يمينه فلا يحنث فيها **وليس في ذلك ما يوحي بعدم الاتزان في شخصيته؛ لأن غضبه كان لله أولاً**؛ ولأن الاتزان والانسجام لا يعني عدم الغضب أو الوقوع في الخطأ؛ إنما الازدواجية والنفور هو ما كان مخالف لنواميس الكون والنفس من المكث على المعصية والدوام عليها مخالفاً جميع قوانين الكون والفطرة التي جبل عليها الخلق، فأمره الله عز وجل أن يأخذ بيده ضغثاً، فيضرب به ولا يحنث، فهذا التيسير وذلك الإنعام كانا جزاء على ما علمه الله من عبده أيوب من الصبر على البلاء وحسن الطاعة والالتجاء﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ

(٤٢) قطب، في ظلال القرآن ٣٠٢٢/٥

(٤٣) سورة ص: الآية ٤٤

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[٤٤]، **فكلمة أواب هي صفة مشبهة تعطي معنى المبالغة على وزن فعَال: أي كثير الإنابة والرجوع، هذا تقرير من الله عز وجل لصفة هذا النبي الذي جمع بين العبودية في بداية النص وختم له بإقرار الشارع له بصفة كثرة الإنابة؛ لتكون وسماً مصادقاً لهذه الشخصية الكريمة** وأما قصة أيوب في سورة الأنبياء فهي وصف موجز وملخص

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾[٤٥].

فأيوب هنا في دعائه لا يزيد على وصف حاله أني مسني الضر ووصف ربه بصفته وأنت أرحم الراحمين ثم لا يدعو بتغيير حاله صبراً على بلائه ولا يقترح شيئاً على ربه تأدباً معه وتوقيراً فهو نموذج للعبد الصابر لا يضيق صدره بالبلاء ولا يتململ من الضر الذي تضرب به الأمثال في جميع الإعصار بل إنه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه فيدع الأمر كله إليه اطمئناناً إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال وفي اللحظة التي توجه فيها أيوب إلى ربه بهذه الثقة وبذلك الأدب كانت الاستجابة وكانت الرحمة وكانت نهاية الابتلاء فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رفع عنه الضر في بدنه فإذا هو معافى صحيح ورفع عنه الضر في أهله فعوضه عمن فقد منهم ورزقه مثلهم وقيل هم أبناؤه فوهب الله له مثليهم أو أنه وهب له أبناء وأحفادا رحمة من عندنا فكل نعمة فهي رحمة من عند الله ومنة وذكرى للعابدين تذكرهم بالله وبلائه ورحمته في البلاء.

---

(٤٤) المرجع السابق

(٤٥) سورة الأنبياء: الآية٨٣_٨٤

وهنا يتبين لنا أن شخصية أيوب عليه السلام كانت متزنة من حيث موافقته للفطرة السليمة ولنواميس الكون، ومن حيث ما جرى من حوار دعائي، وتقرير من الخالق ومدح له، فقد تمثل العقلية المتمسكة بالعقيدة والإيمان والنفسية الصابرة اللاجئة إلى الله، والواقع المدلل على ذلك من خلال صبره ودعائه وعدم قنوطه، كذلك فهي غير متأثرة الظواهر التي تتمثل بالمرض وسوء الحال والعزلة التي من شأنها عند العامة التغير في المفاهيم ولكنه بقي متمسكاً بمبدئه حتى أذن الله بالفرج.

المطلب الثاني: تأصيل ملامح الشخصية المؤمنة

أولاً: العبودية وعلو المنزلة.

فقد وصف الله نبيه أيوب بالعبد وأضاف الضمير(نا) القرب لأيوب عليه السلام وكما تفيد(نا) العظمة لله عز وجل، وهذه شخصية كل مؤمن يجب أن يكون عبداً لله عز وجل ممتثلاً لما أمر قائماً بالطاعة، مبتعداً عن المعصية؛ وبذلك ستعلو منزلته بشخصه وروحه.

ثانياً: الابتلاء والامتحان:

أيوب عليه السلام يمس بالضُر والنصُب وكل مؤمن سيمس وسيصاب كل على حسب نوعه وكمه وقد جهر بها القرآن الكريم واضحة فقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾[٤٦]، قال الحسن: يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة. وقال قتادة: في مشقة فلا تلقاه إلا يكابد أمر الدنيا والآخرة[٤٧]، وشاهده من قصة أيوب عليه السلام مناداته ومناجاته لله عز وجل كما سبق ذكر ذلك.

---

(٤٦) سورة البلد:الآية٤.

(٤٧) البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م، ٤٣٠/٨

ثالثاً: المناجاة والدعاء.

فحقيقة العبادة الصلة بين العبد وربه ومن أبرز مظاهر هذه الصلة الدعاء لهذا يقول عليه السلام: (الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ)(٤٨)، وعليه فكل مؤمن يجب عليه أن يناجي ربه ويدعه وما الصلاة التي نصلي إلا أحد مظاهر هذا الدعاء الذي جوهره المنجاة والعبادة.

رابعاً: الصبر والاحتساب و العزيمة.

فوصف الله عز وجل له بأنه صابرٌ ما كان إلا بعد طول مكث واحتساب كما سبقت الإشارة وهذا حال كل شخص مؤمن وقع به بلاء من فقر أو مرض أو فراق محبوب أو فاقة فالواجب في حقه هو الصبر والاحتساب دون ضجر أو صخب.

خامساً: دفع وساوس الشيطان.

فكلٌ معرضٌ لوساوس الشيطان، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ)(٤٩)، ولكن شخص المؤمن سرعان ما يدفع هذه الوساوس ويسعى لاقتلاعها من جذورها قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ

---

(٤٨) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق الألباني وقال صحيح، دار الكتاب العربي . بيروت،٥٥١/١، رقم١٤٨١، الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،٢٢١/٥،رقم ٢٩٦٩،و ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ – ١٩٩٣م،تحقيق: شعيب الأرنؤوط، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح،١٧٣/٣رقم٨٩٠.

(٤٩) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ) ، **صحيح البخاري**، تحقيق مصطفى البغا، ط١، دار ابن كثير، دمشق،٦٥/٣، رقم ٢٠٣٨.

نَـزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٥٠)، فإقراره بمس الشيطان له كما في الآيات، ولجوئه دليل على مدافعته لمكر الشيطان وقد وضح ذلك.

سادساً: الأدب واللباقة مع الله عز وجل.

فكل مؤمن واجب عليه أن يحتذي حال نبي الله أيوب فقد نسب مرضه إلى الضر أو الشيطان مع أن المقدر الحقيقي لما وقع به هو الله عز وجل ولكنه أجمل تأدباً مع الله عز وجل وهو حال كل مؤمن علت شخصيته وسمت روحه في محبة ربه.

سابعاً: العلاج المنطقي لما يحل من مشكلات.

فليس المطلوب من كل شخص سامٍ أن لا يخطئ؛ بل الخطأ واقع لا محالة، ومصداق ذلك قَول الرَسُولِ صلى الله عليه وسلم(وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ) (٥١)، فالمطلوب هو إدراك الخطأ والسعي في حله وفق منهج الله عز وجل، فحلف أيوب عليه رضوان الله تعالى كان حله أن وجهه ربه أن يبر بقسمه دون إيلام لزوجه، بذلك عولجت قضيته بأسلس الحلول وفي ذاك درس ومعتبر.

ثامناً: الإنابة والعود إلى الله.

فوصف الله تعالى لأيوب عليه رضوان الله تعالى بأنه أواب يحمل في طياته معنى ملازمة الصلة بالله وكأنه دائم الاتصال بالله فلا يذهب أو يغفل إلا سرعان ما يعود ويرجع، فكل مؤمن ينبغي أن يجعل ذلك وصف له فمن دعاء النبي صلى الله عليه

---

(٥٠) سورة الأعراف الآية **٢٠٠**.

(٥١) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة. بيروت،٩٤/٨، رقم ٧١٤١.

وسلم في كل صباح ومساء أو إذا كربه أمر أن يقول: (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله، ولاَ تكلني إلى نفسي طرفة عين)(٥٢).

وغير ذلك من الملامح التي تتضح من هذه القصة الموجزة ولا يتسع المقام للإطناب بذكرها فيكتفى بالأصول، فمن ذلك **عدم عصمة المؤمن من الوقوع في الخطأ**، ولا يعد ذلك خلل في الشخصية إلا إذا لزمه الإصرار على المعصية على اعتبار مس الشيطان له بالوساوس كان من الخطأ، وكذلك **قوة شخصية المؤمن وحله لجميع مشكلاته، وثقته بالله عز وجل بقبوله في كل وقت وحين، والأخذ بالأسباب والتوكل على الله بعد ذلك من أخذه الضغث وإبرار القسم، ومخالطة الناس والصبر على أذاهم من قصة الرجلين، والأنس بالله عز وجل والتمتع بمعيته وغير ذلك.**

المبحث الرابع: ملامح الشخصية الكافرة (إبليس عليه اللعنة) أنموذجاً

المطلب الأول: دراسة الآيات المتحدثة عن إبليس عليه اللعنة بيانياً

كما رسم القرآن صورة الإنسان في أحسن حالاته من البناء الفكري والنفسي؛ للسعي بهما في تحقيق الخلافة في الأرض، فقد أعطى صورة له حين يكون تبعاً لشيطانه في نشر الفساد حيث إن الشيطان قدوة كل ضال و هاديه إلى مهاوي الغي والردى (٥٣).

ففي هذا المبحث سنتطرق لبعض من صفات هذه الشخصية ونستطرق مدى انسجامها في التصرفات والنظرة لحقائق الأمور.

---

(٥٢) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم حسن شلبي، ولم يحكم عليه، طبعة مؤسسة الرسالة، ٢١٢/٩، رقم١٠٣٣٠، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، في صحيح الترغيب الترهيب، مكتبة المعارف، الرياض،١٦٠/١، رقم٦٦١.

(٥٣) عليان، بناء الشخصية في القصة القرآنية ص٧٣.

لقد وردت قصة إبليس عليه اللعنة في غير مكان من القرآن الكريم، فاخترت الابتداء بالسور المكية في الطرح لنعايش النزول كما نزل، ولسنا في معرض الحديث عن آدم عليه السلام؛ لأنه ليس مقام بحثنا، فالذي يهمنا دراسة المواطن التي تحدد شخصية إبليس فيقول تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾(٥٤).

وهنا بدأ القرآن يسطر الطبيعة الشخصية لهذا المخلوق في فكره ونفسيته القائمة على الكبر والتعالي على الخالق جل شأنه، ليعطينا أبرز معالم شخصيته التي إن تبعناه فيها نالنا ما ناله من سوء العاقبة، لذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)(٥٥).

ولننظر إلى المقاييس والمعايير التي يقيس بها إبليس الأمور، وكيفية التفكير في المنتجات لتعطينا الدليل اليقيني على السذاجة في الشخصية والتباين والتباعد في المنطق الذي كان يتمثله في أفعاله يقول تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾(٥٦)، **فخلق الله لآدم كان بيده جلت قدرته وتعالت صفاته عن الشبيه والمثيل، "وهذا قول أهل السنة والجماعة"(٥٧)، وما كان ذلك إلا تشريفاً لآدم ورفعاً لقدره إلا أن إبليس أبى و استكبر وجعل من المظهر سبباً للعصيان ورتب عليه التعاليل الشكلية التي لا تبرر لعصيان أمر مخلوق، فكيف إن كان الأمر من الخالق الذي أسبغ النعم وتفضل بما لا**

---

(٥٤) سورة ص الآية٧٣-٧٤.

(٥٥) مسلم، الصحيح ١ / ٩٣رقم١٤٧.

(٥٦) سورة ص الآية٧٥-٧٦.

(٥٧) السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم، بحر العلوم، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، (١٧٤/٣)

يحصى، وهنا يظهر معلماً آخر لهذه الشخصية وهو أن الباعث على ذلك إنما هو الكبر عن الحق و"الحسد الذي اتضح من هذا الرد والغفلة أو الإغفال للعنصر الكريم الزائد على الطين في آدم والذي يستحق هذا التكريم وهو الرد القبيح الذي يصدر عن الطبيعة التي تجردت من الخير كله في هذا الموقف المشهود هنا صدر الأمر الإلهي العالي بطرد هذا المخلوق المتمرد القبيح"(٥٨).

اختلاف العبارات عند الحكاية بين سور القرآن (من طين، طينا، من حمأ مسنون) تدل على أن اللعين قد أدمج في معصية واحدة ثلاث معاص؛ مخالفة الأمر ومفارقة الجماعة والإباء عن الانتظام في سلك أولئك المقربين والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام، وقد وبخ حينئذ على كل واحدة منها، لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر، اكتفاء بما ذكر في موطن آخر، وإشعاراً بأن كل واحدة منها كافية في التوبيخ وإظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأساً في سورة البقرة وسورة بني إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه"(٥٩).

ويستمر الخطاب القرآني في إبراز هذه الشخصية يقول تعالى: ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾(٦٠) ، **نعم هذا هو الجزاء لمن جعل من عقله ونفسه تابعاً للهوى وجعل شخصه منقاداً لذلك**، ويستمر السياق﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾(٦١). **فهنا يظهر إصرار هذه الشخصية على التمادي بالباطل، وكان الأحرى بمن**

---

(٥٨) سيد قطب، الظلال٥/٣٠٢٥

(٥٩) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٣ / ٢١٦.

(٦٠) سورة ص الآية٧٧-٧٨.

(٦١) سورة ص الآية٧٩-٨٢.

كان له عقل وإدراك أن يرجع سريعاً وينوب مستغفراً كما فعل آدم عليه السلام عندما عصى ربه فأكل من الشجرة .

ومعنى قوله جل وعز﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾أي إلى يوم الوقت المعلوم الذي لا يعلمه إلا الله جل وعز(٦٢).

ثم هنا تظهر سنة الله عز وجل الدينية، التي لا تغير عليها ولا محاباة فيها ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(٦٣)، **فهذا تأكيد لقانون الله عز وجل وهو أن عاقبة كل من جعل من عقله ونفسه سبيلاً لاتباع الهوى وبنى شخصيته على المظاهر التي تورث الكبر والتعالي على الخالق جل قدره فإن جهنم هي الموعد المنتظر وفي ذلك تمام الإبلاغ والإنذار الذي هو من علا دلائل البيان القرآني في إنذاره.**

ثم بعد ذلك تأتي إشارات تبين معالم من هذه الشخصية اللعينة ففي سورة الأعراف

يقول تعالى ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾(٦٤)، **وقال على لسانه أيضاً** ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ

---

(٦٢) النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، معاني القرآن الكريم، تحقيق : محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ٦ /١٣٩ .

(٦٣)سورة ص الآية ٨٤-٨٥ .

(٦٤)سورة الأعراف الآية ١٦_١٧ .

ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[٦٥].

ففي الآيات جملة من ملامح شخصية الكافر الذي حاله حال إبليس عليه اللعنة من إصرار على الإغواء الذي في حقيقته تحد للخالق عز وجل حتى وصل إلى درجة من اليأس الذي لا سبيل للنجاة بعده، وقوله تعالى : (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً) وهذا إخبار عن الواقع فإن الشيطان يعد أولياءه ويمنيهم بأنهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة وقد كذب وافترى في ذلك[٦٦]، ولهذا قال الله تعالى : (وما يعدهم الشيطان إلا غروراً) كما قال تعالى مخبراً عن إبليس يوم المعاد﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[٦٧]، **ثم يأتي السياق عن وسوسته لآدم عليه السلام:** ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[٦٨].

---

(٦٥)سورة النساء الآية ١١٧_١٢٠ .

(٦٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،١ /٧٣٨.

(٦٧)سورة إبراهيم الآية٢٢.

(٦٨)سورة الأعراف الآية ١٩_٢٣ .

وتبقى هذه الشخصية على ما خطت من منهاج باطل وسلوك معوج بمثابرة ودون أي توان، لأنه استمر في عصيانه ولم ينب ولم يرجع، بل انطلق يوسوس لآدم حتى زين له الرؤيا، فوقع في المحذور.

وهذا يعطينا المعلم الواضح الجلي من كون الشخصية الكافرة تملك القدرة على التزين والإقناع والإغواء لمن غفل ونسي قوام السيطرة، لذلك قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾(٦٩).

وتأتي سورة الكهف لتبين صفة أخرى لإبليس للعين وهي الفسق(٧٠)، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾(٧١)، "فالفسق في أصل اللغة يعني العصيان والترك لأَمر الله عز وجل والخروج عن طريق الحق فسَق يَفْسِقُ ويَفْسُقُ فِسْقاً وفُسوقاً"(٧٢)، وفسق فلان: خرج عن حجر الشرع، وذلك من قوله: فسق الرطب، إذا خرج عن قشره وهذا قول الفراء(٧٣)، وهو أعم من الكفر. وهذا تقرير حتمي من الله عز وجل بخروج هذه الشخصية عن كل الأطر القويمة وعن كل السبل الصائبة وتوكيد حتمية النهاية له ولمن تبعه.

وفي نهاية هذا المبحث تظهر الشخصية الكافرة متباعدة متباينة موغلة في غياهب الضلال؛ لم تربط بين العقل والنفس والواقع، ولم تنسجم مع الكون والفطرة في عبودية الله والإنابة إليه إن كان هنالك كبوة، وذلك يتبين من خلال التقارير الربانية

---

(٦٩)سورة طه الآية ١١٦ .

(٧٠)عباس، د فضل حسن، القصص القرآني، ص٥٢ .

(٧١)سورة الكهف الآية ٥٠ .

(٧٢)ابن منظور، لسان العرب ١٠ / ٣٠٨، مادة فسق.

(٧٣)انظر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب ٢/١٤٧.

لصفاته كالكبر والفسق وما جرى من حوار بينه وبين رب العالمين وبينه وبين آدم عليه السلام.

المطلب الثاني: تأصيل ملامح الشخصية الكافرة

بعد التطرق بالدراسة البيانية لقصة إبليس عليه اللعنة كنموذج لشخصية الكافر يمكن تأصيل ملامح شخصية الكافر بأمور من أهمها.

أولاً: الكبر المترسخ على الخلق والإصرار على عصيان الخالق جل شأنه.

فكل من كان حاله حال إبليس اللعين من الكفر والنفاق تراه متكبراً عن الحق، رافضاً له ولتعاليمه؛ فلو نظرنا مثلاً لحال كفار قريش في رفضهم لدعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لوجدنا أن رفضهم قائم على الكبر، فقد قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾(٧٤)

ثانياً: اضطراب قواعد الاستدلال، الحكم على مظاهر الأمور.

فالكافر مقاييسه تعتمد على المادية والمنفعة المحسوسة والقيمة الذاتية الفردية، وهذا المقياس الذي اعتمده إبليس عندما رفض السجود لآدم؛ لأنه مخلوق من طين، فمن الذي أعطى الأفضلية للنار على الطين، إنما هو مقياس الأنانية التي يعتمدها كل من استند لغاياته بأنانية ومصلحته المفردة.

ثالثاً: التمادي في العناد بدلاً من المسارعة إلى التوبة.

فكان الأولى بإبليس عليه اللعنة أن يصنع مثل ما فعل آدم عليه السلام، خاصة وهو يعلم سعة رحمة الله وعظيم كرمه، وكذلك كافر كل زمان ومكان تراه يصر على

(٧٤)سورة فاطر الآية ٤٢-٤٣.

عناده مع إدراكه خطورة ما يخطو إليه، لكنه العناد الذي يودي بصاحبه إلى غياهب الشر والإغواء.

رابعاً: القدرة على التزيين والحرص على إغواء وإقناع الآخرين بالباطل.

فشأن الباطل وأهله هو السعي الدؤوب على هدم الحق، يقول تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾[٧٥]، فإصرار إبليس على متابعة الإغواء لبني آدم كما بينت الآيات الكريمة، وتزيينه الباطل وحرصه على إقناع آدم بالملذة ينم عن شخصه وهو نموذج لشخص الكافر وأهله مما نشاهد ممن يتوافق مع حاله.

خامساً: الوصف بالفسق الذي لا رجعة عنه لمن أصر على كفره.

سبقت الإشارة إلى أن الفسق في أصله الخروج، وفَسَقَتِ الرطبة، إذا خرجت عن قشرها[٧٦]، فترى شخص الكافر _ومن حذا حذوه_ الخروج عن الفطرة والطبيعة والمألوف لكل مستقيم في فطرته، فيرفض العبادة التي فطر الناس عليها، ويغير ما خلق الله الذي خلق، ويسعى في الرذيلة والفاحشة التي تناقض الحق والخير.

ومما يمكن إضافته كملامح للشخصية الكافرة من خلال قصة إبليس عليه اللعنة، **الجلد وبذل الجهد على الجميع من دون يأس من أحد**، وهو واضح من قول إبليس عليه اللعنة(أجمعين) بدون يأس، وهو حال الكافر الذي يدعو لكفره فتراه حريصاً على إغواء الجميع ببذل الجهد والمال والوقت دون يأس، كذلك أن الكافر قد يكون **جحوده وضلاله عن علم وهو أشد ممن كفر عن جهل**؛ وهذا واضح مما سبق

---

(٧٥)سورة إبراهيم الآية٤٦.

(٧٦)الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٤/١٥٤٣. المادة فسق.

من إصرار إبليس عليه اللعنة مع علمه بسوء المحذور ووخامة العاقبة، **ومن ملامح شخصية الكافر أنه يخاطب الغرائز البشرية لمن يريد غوايته؛ لأنها أسرع في الإغواء وأبعد عن منهجية التفكير السليمة**، ومن صفات الكافر الواضحة أنه **سريع الفرار حال الاحتكام والمناظرة**، كحال إبليس عندما يتخلى عن أتباعه؛ لأنه يدرك ضعفه وسوء تصرفه وهذا ما جعله مضطرباً وغير متزن في أحكامه، ومما ظهر أيضاً أن **الكافر يسعى ليؤكد ما يدعو إليه بالأيمان الباطلة، لأن كلامه خالياً من البرهان والحجة.**

المبحث الخامس: ملامح الشخصية منتقلة من المعصية إلى الطاعة (أصحاب الجنة) أنموذجاً.

المطلب الأول: دراسة الآيات المتحدثة عن أصحاب الجنة بيانياً

لقد مثل أصحاب الجنة شخصية كثيرة التكرار في كل العصور وذلك أن باب التوبة مفتوح في كل زمان مالم تقم الساعة، فكان لا بد من وقفة مع مثل ذلك النفر لنرى كيف تميزت شخصياتهم وكيف تغيرت وما هي المقومات التي ساروا عليها وها هو المآل الذي انقلبوا إليه، لنفيد من مثل حال هؤلاء الشخوص، ولنتجنب ما وقعوا فيه من أسباب غي، ودواعي ضلال، وقد تميزت هذه القصة بالأسلوب السردي والحواري الكاشف عن معالم الشخصية، يقول تعالى متحدثاً عن حالهم: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾(٧٧)، هو نموذج لشخصية نفر من بني إسرائيل كان أبوهم يتميز بالصلاح والتقوى والكرم والاعتماد على الله في قضايا الرزق، لكن أبناءه كانوا على غير حاله، ولا يرضون بطريقته في إدارة الحياة فقد كان له بستان (جنة) فكان إذا جمع محصوله، أمسك قوت عامه وتصدق بما بقي، أخرج عبد الرزاق

(٧٧) سورة القلم – الآية ١٧.

وعبد بن حميد عن قتادة قال : كانت الجنة لشيخ من بني إسرائيل وكان يمسك قوت سنته ويتصدق بالفضل كان بنوه ينهونه عن الصدقة، فلما مات أبوهم غدوا عليها فقالوا لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين أي على جد من أمرهم"(٧٨).

هذا المرور السريع لشخصية هؤلاء الأبناء في حياة والدهم، يبرز نوعاً من صفاتهم مثل حب الذات والأنانية وعدم حب الخير للآخرين وسبب هذه الصفات عدم وجود الوازع الموجه لمثل هذه الصفات كالدين مثلاً وكذلك فإن جبلة الإنسان تقوم على حب التملك، وإنماء هذا الملك قدر الإمكان، ومصداق ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لو أن ابن آدم أعطي وادياً من ذهب أحب إليه ثانياً ولو أعطي ثانياً أحب إليه ثالثاً ولا يسد جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)(٧٩).

وبينت بعض روايات بني إسرائيل أن أباهم كان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات أبوهم قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا

(٧٨) أصل الرواية في تفسير عبدالرزاق الصنعاني، ينظر الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني، تفسير عبد الرزاق، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ ، ٣٣٢/٣،حديث رقم ٣٢٨٤ ، واللفظ للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الدر المنثور، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر،١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م الدر المنثور٨/٢٥٠، وهذا الخبر من قصص بني إسرائيل التي لا تصدق ولا تكذب؛ ولكن تؤخذ على ظاهرها.

(٧٩)البخاري، الصحيح٥/ ٢٣٦٥.

مُصۡبِحِينَ﴾[٨٠] ، ليقطعنها داخلين في الصباح ، **ونلاحظ الجرس الصوتي للكلمة كيف يدلل على المعنى في تأكيد قطع الثمار وذلك من خلال صفير الصاد وجهره وتشديد النون وإشباع الهاء بألف** ولا يستثنون أي لا يقولون إن شاء الله[٨١].

فها نحن أولاء أمام أصحاب الجنة جنة الدنيا وها هم أولاء يبيتون في شأنها أمراً لقد كان للمساكين حظ من ثمرة هذه الجنة كما تقول الروايات على أيام صاحبها الطيب الصالح ولكن الورثة بعد موت أبيهم يريدون أن يستأثروا بثمرها الآن وأن يحرموا المساكين حظهم فلننظر كيف تجري الأحداث إذن﴿ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴾[٨٢]. فلقد قرّ رأيهم على أن يقطعوا ثمرها عند الصباح الباكر دون أن يستثنوا منه شيئا للمساكين أو أنهم لم يعلقوا الأمر على مشيئة الله عز وجل _ وكلا الأمرين محتمل ويعد مما هو مخالف للشرع_ وأقسموا على هذا وعقدوا النية عليه وباتوا بهذا الشر فيما اعتزموه وهنا يعبر سيد عن هذا الموقف فيقول "فلندعهم في غفلتهم أو في كيدهم الذي يبيتوه ، ولننظر ماذا يجري من ورائهم في بهمة الليل وهم لا يشعرون فإن الله مطلع على كيدهم وسرائرهم ، لا ينام كما ينامون وهو يدبر لهم غير ما يدبرون جزاء على ما بيتوا من بطر بالنعمة ومنع للخير وبخل بنصيب المساكين المعلوم ، فكانت المفاجأة التي لا يتوقعون ﴿ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴾ [٨٣]، فلندع الجنة وما ألمّ بها مؤقتا لننظر كيف يصنع المبيتون الماكرون ها هم أولاء يصحون

---

(٨٠) سورة القلم: الآية ١٨

(٨١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٩ / ١٤

(٨٢) سورة القلم: الآية ١٨

(٨٣) سورة القلم: الآية ١٩

مبكرين كما دبروا وينادي بعضهم بعضاً لينفذوا ما اعتزموا"[٨٤]،﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴾[٨٥].

يذكر بعضهم بعضاً ويوصى بعضهم بعضاً ويحمس بعضهم بعضاً **لتبرز معالم أخرى لهذه الشخصية التي لم تزل في ضلالها من إصرار على الموقف وتكاتف على المبدأ وعدم تحكيم للضمير ورفض مضامين ومعالم التكافل الاجتماعي ولننظر إلى النسق البياني وهو يصور لنا التناجي فكأنا نسمع تهامسهم وتخافتهم وهم يسيرون ويقولون(اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين)** [٨٦] **؛ أي اغدوا على أنّ (أن) مفسرة أو بأن اغدوا على أنها مصدرية أي اخرجوا غدوة على حرثكم بستانكم وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمينه معنى الإقبال أو الاستيلاء إن كنتم** صارمين[٨٧]، **وهنا تجسيد آخر لما قرر من شخصيتهم في نزعة الاستيلاء وحب الذات** ثم يمضي السياق في السخرية منهم فيصورهم منطلقين يتحدثون في خفوت زيادة في إحكام التدبير ليحتجنوا[٨٨]، الثمر كله لهم ويحرموا منه المساكين ﴿ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾[٨٩]،**ونظر إلى الصورة البيانية في عرض مشهد التناجي سراً "فكأنما نحن الذين نسمع القرآن أو نقرؤه نعلم ما لا يعلمه أصحاب الجنة من أمرها أجل فقد شهدنا تلك اليد الخفية اللطيفة تمتد إليها في الظلام فتذهب بثمرها كله ورأيناها كأنما هي مقطوعة الثمار بعد ذلك الطائف الخفي الرهيب فلنمسك أنفاسنا إذن لنرى كيف**

(٨٤) بتصرف واسع سيد قطب، الظلال٦/٣٦٦٥

(٨٥) سورة القلم – الآية ٢١-٢٢.

(٨٦) سورة القلم – الآية ١١.

(٨٧) أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٩ / ١٤ .

(٨٨)احتجن الشَّيْء وحجنه إذا ضمه إِلَيْهِ واختص نَفسه بِهِ، بتصرف مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ١/ ١٥٨.

(٨٩) سورة القلم – الآية ٢٣-٢٥.

يصنع الماكرون المبيتون"(٩٠)، إن السياق ما يزال يسخر من الماكرين المبيتين ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾(٩١)، أي وغدوا قادرين على منع لا غير والمعنى أنهم عزموا على منع المساكين وطلبوا حرمانهم ونكدهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها إلا على المنع والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان أو غدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها أي غدوا حاصلين على حرمان أنفسهم مكان قادرين على الانتفاع والحصر على الأول حقيقي وعلى هذا إضافي بالنسبة إلى انتفاعهم من جنتهم والحرمان(٩٢)،أجل إنهم لقادرون على المنع والحرمان حرمان أنفسهم على أقل تقدير وها هم أولاء يفاجأون فلننطلق مع السياق ساخرين ونحن نشهدهم مفجوئين ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴾(٩٣)، ما هذه جنتنا المليئة بالثمار، فقد ضللنا إليها الطريق ولكنهم يعودون فيتأكدون ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾(٩٤)، فلما صار هؤلاء القوم إلى جنتهم، ورأوها محترقاً حرثها، أنكروها وشكوا فيها، هل هي جنتهم أم لا؟ فقال بعضهم لأصحابه ظنا منه أنهم قد أغفلوا طريق جنتهم، وأن التي رأوا غيرها: إنا أيها القوم لضالون طريق جنتنا، فقال من علم أنها جنتهم، وأنهم لم يخطئوا الطريق: بل نحن أيها القوم محرومون، حُرِمنا منفعة جنتنا بذهاب

---

(٩٠) سيد قطب، الظلال٦/٣٦٦٥

(٩١) سورة القلم: الآية ٢٥.

(٩٢) الآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق : على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ،١٩/ ٣١

(٩٣) سورة القلم: الآية ٢٦

(٩٤) سورة القلم: الآية ٢٧

حرثها[٩٥] ، وهذا هو الخبر اليقين والآن وقد حاقت بهم عاقبة المكر وعاقبة البطر والمنع يتقدم أوسطهم وأعقلهم وأصلحهم ،﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾[٩٦]،**هنا تبرز شخصية مخالفة نوعاً ما لشخصية الجماعة وهو أخوهم الأوسط الذي تميز بالعقلانية والحكمة، ولكنه لم يستطع مخالفة الجماعة في الرأي بل واضطر ليسير معهم فيبدو أنه كان له رأي غير رأيهم، ولكنه تابعهم عندما خالفوه وهو فريد في رأيه ولم يصر على الحق الذي رآه؛ فناله الحرمان كما نالهم ولكنه يذكرهم ما كان من نصحه وتوجيهه**[٩٧] ، والآن فقط يسمعون للناصح بعد فوات الأوان ،﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾[٩٨] ، **هذا المعلم الأبرز للشخصية المنتقلة من المعصية إلى الطاعة؛ ألا وهو الإقرار بالخطأ والاعتراف بالمعصية وتنزيه الله عن كل نقص وإثم ومن ثَم الإنابة إلى الله فأقبل**،﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴾[٩٩] ، ليعترفوا جميعاً بالخطيئة أمام العاقبة الرديئة ، **ونلاحظ دلالة الفعل المضارع لتدلل على التكرار والوارد في التلاوم** عسى أن يغفر الله لهم ويعوضهم من الجنة الضائعة على مذبح البطر والمنع والكيد والتدبير،﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾[١٠٠]، **وهنا يبرز تغير واضح في الشخصية لهذه الجماعة حيث أزيح الغمام عن وجوههم وأصبح الحق ظاهراً، ولعل المعايير سوف تتغير عندهم أو تقلب فيما بقي من حياتهم بعد أن رأوا وضوح العواقب لما كانوا عليه من**

---

(٩٥) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م،٢٣ / ٥٤٩.

(٩٦) سورة القلم: الآية ٢٨

(٩٧) سيد قطب، الظلال٦/٣٦٦٥

(٩٨) سورة القلم: الآية ٢٩

(٩٩) سورة القلم: الآية ٣٠

(١٠٠) سورة القلم: الآية ٣٢

إصرار فهم بالإيمان الذي دل عليه التلاوم ثم الإقرار بالإنابة والرغبة إلى الله سوف يضعون الموازين في مواضعها ويحكمون العقل السليم بالواقع الحاضر وإن خالف توابع النفس وشهواتها ثم تكون خاتمة خطاب الله عز وجل ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾[١٠١] ، وكذلك الابتلاء بالنعمة فليعلم المشركون أهل مكة إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة ولينظروا ماذا وراء الابتلاء ثم ليحذروا ما هو أكبر من ابتلاء الدنيا وعذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون .

وفي ختام هذا المبحث نستطيع القول أن شخصية أصحاب الجنة تتميز بلون من التناغم مع الكون الكامن برجوعهم وتوبتهم وعودتهم إلى الله بعد أن طغى عليهم حب الذات في معظم مشاهد القصة وكان واقعها منسجماً في التوازن بين ما يلقيه العقل والنفس من طبيعة فطرية من حب المال والتملك وما حدث من لوم وإنابة إلى الله فإن عامله هو الإيمان، ولا يعد ذلك من الازدواجية فهم بالإيمان عرفوا خللهم ورجعوا عنه.

أما عن حالهم مع من حولهم، فكانوا على تباين واضح الخطأ منذ حياة والدهم وحتى خروجهم منذ الغداة خفية ومن ثم تناجيهم وتبيت النية بحرمان المساكين من الصدقة.

ولكن تجدر الإشارة إلى أن هذا التباين مظنته التغير بعد التوبة، فلو قدر لنا التخيل في حالهم بعد التوبة والاستغفار، فسنرى انسجاماً تاماً مع الغير قادهم إليه الإيمان والتوبة، ولكن بقيت النهاية مفتوحة، حتى تذهب النفس فيها كل مذهب وهذا من عظم دلالات البيان في النص القرآني.

(١٠١) سورة القلم: الآية ٣٣

المطلب الثاني: تأصيل ملامح الشخصية المنتقلة من المعصية إلى الطاعة.

تجدر الإشارة إلى أن الشخصية المنتقلة من المعصية إلى الطاعة، تحمل وصفاً مشابهاً لملامح الشخصية الكافرة حال المعصية، ومن ثم يتحول حالها فتحمل وصفاً مشابهاً لملامح الشخصية المؤمنة، فما ورد من ملامح قد يكون وصفاً لهذه بحسب حالها، ويضاف إلى ما سبق ذكره.

أولاً: الازدواجية في النفسية والسلوك، حتى تستقر على الطاعة.

نلحظ من الآيات القرآنية من جانب ومن الواقع من جانب آخر، كيف أن حال العاصي مضطرب في سلوكه ونفسه حال عصيانه وشططه، يزيغ عن الفطرة تارة و ينسجم أخرى وذلك عند التوبة والإقلاع، فما ذهاب أصحاب الجنة خفية وعدم جهرهم برفض إعطاء الفقراء من خير الله عز وجل إلا دليل على النزاع النفسي والسلوكي، فلو كانت النفس مطمئنة لهذا السلوك؛ لجهرت به وما أخفته، ثم ترى استغفارهم وانسجامهم بالسلوك والنفس، فقد قال الله تعالى واصفاً حال ونفس وسلوك آكل الربا ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾[١٠٢]، فالآية تبين ألواناً من الاضطراب الذي يعيشه كل من خالف المنهاج الرباني في الهداية فتراه متخبطاً مضطرباً يسير على عير هداية؛ فإذا أخذ بالهدايات الربانية استقرت نفسه وسما وكذلك حال العاصي ونزاع نفسه وشرود سلوكه حتى تستقر نفسه بالتوبة النصوح.

ثانياً: العبرة والعظة.

فالعبرة والعظة من ملامح الشخصية المؤمنة؛ لأن المؤمن يمتثل التوجيه الرباني بما أمر، كذلك فمن من الله عز وجل وكرمه أن جعل للعبد مواقف كابحة له عن

(١٠٢) سورة البقرة – الآية٢٧٥

المعصية إذا وقع بها، فتراه جل في علاه ينبه الإنسان لعله يستيقظ من غفلته، وهذا ما أكرم الله به أصحاب الجنة عندما أهلك بستانهم، فكان ذلك سبباً في عودتهم وتوبتهم، ولو قدر لنا أن نتخيل ما الذي سيحدث لو لم يهلك الله البستان لكان من الممكن أن يبقى حالهم على الجحود والمعصية التي يسيرون عليها دون عودة، وكذلك حال نبي الله يونس عليه السلام فقد قال الله في حقه ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[١٠٣]، وفي حق قومه: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴾[١٠٤]

ثالثاً: التلاوم والندم.

اللوم والندم الذي ينبثق عنه عمل محمود، فالنفس اللوامة هي درجة من عتاب النفس على التقصير يقول تعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾[١٠٥]، وهي جميع النفوس الخيرة والفاجرة، سميت لوامة لكثرة ترددها وتلومها وعدم ثبوتها على حالة من أحوالها، ولأنها عند الموت تلوم صاحبها على ما عملت، بل نفس المؤمن تلوم صاحبها في الدنيا على ما حصل منه، من تفريط أو تقصير في حق من الحقوق، أو غفلة، فجمع بين الإقسام بالجزاء، وعلى الجزاء، وبين مستحق الجزاء[١٠٦]، على هذا

---

(١٠٣) سورة الأنبياء – الآية٨٨

(١٠٤) سورة يونس – الآية٩٨

(١٠٥) سورة القيامة – الآية٢

(١٠٦)السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المحقق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م، ص٨٩٨

فكون اللوم يقوم الشخصية والسلوك فهو ممدوح، أما إذا كان عجز فحسب ودون عمل فهو المذموم، أما في قصة أصحاب الجنة فقد كان مثمراً، فقادهم للتوبة والإنابة والدعاء بالإبدال خير من هذه الجنة المنصرمة.

ومما يمكن إضافته مما لا يصلح المقام لبسطه من ملامح، **الصراع النفسي الذي يمر به العاصي**، والكامن بتلاومهم وقول أوسطهم حال عصيانهم، كذلك **العناية الربانية بأن ييسر للعصاة أسباب الهداية مثل الناصح أو هلاك الجنة الذي عقبه صلاحهم**، كذلك **غفلة العاصي عن أمر الله حال عصيانه ومثاله أن غفل أصحاب الجنة عن تعليق أمرهم بمشيئة الله عز وجل**، كذلك **اجتماع أهل المعصية على هدفهم**، وشاهده عندما أجمعوا على باطلهم.

الخاتمة

تثبت هذه الدراسة أن القرآن الكريم في قصصه وإن كان يحوى الأركان المعروفة للقصة العربية؛ من شخوص وزمان ومكان وعقد وحل لها، إلا أنه أضاف لهذه الشخوص جوانب وملامح وصفات، ليكون المغزى من القصة أكثر عمقاً وعبرة، كما تبين الدراسة أن ملامح هذه الشخصية تختلف باختلاف الحال لصاحبها من كفر وإيمان ومعصية وطاعة، وعليه يكون تفسير السلوك والأحداث، وما هذا كله إلا للترغيب بالشخصية المؤمنة والتأسي بها والتنفير من الشخصية الكافرة والبعد عنها، وعليها تقاس المعاصي والطاعات، فمعلوم أن كل عاقل يسعى للكمال النسبي في شخصه وذاته.

ويمكن تلخيص النتائج والتوصيات بما هو آت:

١ - الشخصية في القصة القرآنية تحمل معاني واضحة المعالم، وتعطي عمقاً للنص القرآني من حيث الجوهر والمضمون.

٢ - تتغير ملامح الشخصية في القصة القرآنية بتغير حالها بين الإيمان والكفر والمعصية والطاعة.

٣ - الأصول التي تبنى عليها الشخصية المؤمنة والكافرة و المنتقلة من المعصية إلى الطاعة تنسجم مع قواعد الشرع الحنيف من حيث الذم والمدح.

٤ - يمكن التأسي وأخذ العبر من ملامح الشخصية في القصة القرآنية.

٥ - ينبغي إعداد دراسات لتحليل جميع شخوص القصص في القرآن الكريم؛ لما في ذلك من إثراء لأهداف ومقاصد القصص القرآني.

المصادر والمراجع

[١] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط دار(الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

[٢] ابن كثير، إسماعيل بن كثير، (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان.١٤١٥هـ -١٩٩٥م.

[٣] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ١٩٥٦م، لسان العرب، ط١، بيروت، دار صادر.

[٤] أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٥] أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق الألباني، دار الكتاب العربي - بيروت.

[٦] الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض.

[٧] الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض.

[٨] الآلوسي، شهاب الدين محمود ابن

[٩] عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.

[١٠] باحاذق، د عمر محمد عمر، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م.

[١١] البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى البغا، ط١، دار ابن كثير، دمشق.

[١٢] البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

[١٣] البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد (ت٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، دار الجيل.

[١٤] بيير زيما، النقد الاجتماعي، نحو علم اجتماع للنص الأدبي، ترجمة: عايدة لطفي، (القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر، ١٩٩١).

[١٥] توفيق، محمد عز الدين، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي، دار السلام - مصر.

[١٦] نديم مرعشلي، نديم مرعشلي بن محمد جميل، تجديد الصحاح في اللغة والعلوم دار الحضارة العربية بيروت

[١٧] الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

[١٨] الحاج حسن، حسين الحاج حسن، علم الاجتماع الأدبي، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٠).

[١٩] الحسين، قصي الحسين، السوسيولوجيا والأدب، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٣).

[٢٠] الخطيب، عبدالكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٥م.

[٢١] السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علم الكتاب المكنون، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

[٢٢] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

[٢٣] دبور، محمد عبد اللاه عبده، أسس بناء القصة من القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنوفية، ١٩٩٦م.

[٢٤] الدوري، محمد ياسين خضر، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١٤٢٧/١ه -٢٠٠٦م.

[٢٥] الدولات، خالد سليمان ، الشخصية في القصص القرآني دراسة نصية نقدية تحليلية لنصوص مختارة، رسالة الماجستير، جامعة اليرموك الأردنية، ١٩٩٦م.

[٢٦] الزبيدي، محمد بن محمد الزبيدي. تاج العروس من جواهر القاموس، (القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ).

[٢٧] الزمخشري، محمود بن عمر، (ت٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت -لبنان، ١٤٢١هـ١-٢٠٠١م.

[٢٨] الساعاتي، سامية الساعاتي، الثقافة والشخصية، بحث في علم الاجتماع الثقافي، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٣).

[٢٩] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق : عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

[٣٠] السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم، بحر العلوم، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

[٣١] سعيد عزة وجودت عبدالهادي، نظريات الإرشاد والعلاج النفسي، مكتبة دار الثقافة، عمان، ط١ ، ١٩٩٩م.

[٣٢] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الدر المنثور، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

[٣٣] الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، الأحاديث الطوال، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣م

[٣٤] عباس، فضل حسن، القصص القرآني، إيحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، ط١/١٩٩٧م.

[٣٥] عباس، فيصل، أساليب دراسة الشخصية، (بيروت: دار الفكر اللبناني ١٩٩٠).

[٣٦] عتر، نور الدين عتر، القرآن الكريم والدراسات الأدبية، جامعة دمشق، ط١.

[٣٧] الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني، تفسير عبد الرزاق، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ

[٣٨] عليان، د مصطفى عليان مصطفى، بناء الشخصية في القصة القرآنية، دار البشير، ط١/١٤١٣_١٩٩٢م.

[٣٩] الفخر الرازي، محمد بن عمر، (ت٦٠٦هـ)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت -لبنان.

[٤٠] الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، ط٣، دار الرسالة، عمان، ١٩٩٣م.

[٤١] القطان، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

[٤٢] قطب، سيد، (ت١٩٦٦م)، في ظلال القرآن، ط١٥، دار الشروق، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

[٤٣] لازاروس. الشخصية، ترجمة: سيد محمد غنيم، (القاهرة: دار الشروق، ط٣، ١٩٨٩.

[٤٤] مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجيل بيروت ودار الآفاق الجديدة - بيروت.

[٤٥] المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، دار الفكر، بيروت، ط١٤١٠هـ.

[٤٦] النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، معاني القرآن الكريم، تحقيق : محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

Personal profiles in the Qoran story (between disbelief and belief) and models applied

Abdullah Ali Abd Al rahman Abu Al soud
Assistant Professor in the interpretation and Science of the Qoran
Al Jouf University
Administrative Sciences and Humanities College
Department of Islamic Studies

Abstract. The results of this study suggest that though the stories of the Holy Quran contain the well-known elements of the Arabic story literature, they added more in-depth description of the aspects and features of the personalities of the characters under the scope of the story, so that they would give a deeper and more significant lesson. They also show that the aspects of the personality of the character differ with the different conditions that it undergoes such as disbelief, faithfulness, disobedience, and obedience. Furthermore, these conditions are the basis for the interpretation of its attitude towards the events of the story. Lastly, all of that is to make the believers' personalities more desirable and to take them as role models, and, on the other hand, to make the disbelievers' personalities more disliked and to keep away from them. This is the measure for the good and bad deeds; as it is known that every human being seeks to be perfect in his identity and personality.